سرّ النّجاح

التأليف

محمّد الرّيشهري

التعريب

الدكتور محمّد عليّ الحسيني

سرّ النّجاح

التأليف :

محمّد الريّ شهري

التعريب :

الدكتور محمّد عليّ الحسيني

قم، شارع معلّم، قرب ساحة الشهداء الرقم ١٢٥،
الهاتف: ٧٧٤١٦٥٠ - ٧٧٤٠٥٤٥ - ٧٧٤٠٥٢٣ ٠٢٥١

سرّ النجاح

المؤلف: محمد الريشهري
التعريب: الدكتور محمد علي الحسيني
الناشر: مركز الطباعة والنشرفي دارالحديث
المطبعة: نگين
الطبعة: اولى ـ ١٣٨٠
عدد المطبوع: ٣٠٠٠ نسخة
الثمن: ١٨٠ تومان

شابک: ٦ - ٢٢ - ٧٤٨٩ - ٩٦٤ ISBN: 964 - 7489 - 22 - 6

بسم الله الرحمن الرحيم

الإهداء إلى الشباب

«سرّ النّجاح في الحياة» موضوع محاضرة للمؤلّف، كان قد ألقاها في ٢ / ٥ / ١٣٧٧ هـ. ش على جمع من الطلبة الجامعيّين. وبعد المراجعة والتكملة يقدّمها اليوم تحت العنوان نفسه إلى جميع الباحثين عن جوهر الحياة وسرّ المتعة فيها، ولا سيّما إلى الشباب الأعزّاء.

المحتوى

- سرّ النّجاح ٧
- أُسس النّجاح ٩
- معرفة أحسن طُرُق الحياة ١٠
- سرّ النّجاح من وجهة نظر القرآن الكريم ١١
- السعي، أوّل شروط النّجاح ١٢
- قصة ذات عظة بالغة ١٤
- الكسل آفة التوفيق ١٧
- علامة التواكل ١٩
- علاج الكسل والتواكل ٢٠
- الدوافع الحسنة، ثاني شروط النّجاح ٢٢
- أجمل الدوافع ٢٤
- النّجاح الكاملة ٢٥

سرّ النّجاح

إنّ سرّ النّجاح في الحياة ومفتاح المتعة والسعادة فيها شيء مَنْ يظفر به يكون موفّقاً وسعيداً. ومن هنا يسعى الجميع ولا سيما الشباب ـ وهم في بداية الطريق الملأى بالتحدّي ـ إلى نَيْلِ سرّ التوفيق فيها.

وبنظرة سريعة وعابرة إلى حياة الناس ومعاشرتهم على طول التاريخ نرى نماذج موفّقة وناجحة، وكذلك نرى نماذج خائبة وخاسرة. ومن هنا نتوصّل إلى طرح السؤال الآتي: ما هو سرّ الانتصار والإخفاق في الحياة؟

فهل يمكن أن نعتقد بعدم وجود سرّ للانتصار وسبب للإخفاق في الحياة؟ وهل يمكن أن نقول إنّ السرّ يكمن في المصادفة والبخت؟ (أو الطالع النحس والسعيد؟)

لا شكّ أنّ الجواب بالنفي، وأنّ لكلّ انتصار واندحار سببه الخاص به، وهذه قاعدة لا استثناء فيها. فالبخت أو الطالع ليس شيئاً يمكن أن يكون سبباً للسعادة والشقاء.

ففي كلامٍ منسوب للإمام عليّ عليه السلام جاء: «إذا قويت نفسُ الإنسان انقطع إلى الرأي، وإذا ضعُفَتْ انقطع إلى البخْت»[1].

إنّ الناس الأقوياء روحيّاً والواثقين بأنفسهم يعتمدون الرأي والتدبّر في الحياة من أجل اكتشاف سرّ السعادة، والسعي لتحصيل مفتاح التمتّع فيها.

وإنّ الأفراد الضعيفي الإرادة والعزيمة والذين ليس لهم القدرة على التفكّر اللازم يلوذون إلى عالم الخيال، ويعتبرون البخت أو الطالع سبباً للسعادة والشقاء، ولا يجيزون لأنفسهم التأمّل في سرّ النّجاح وعلّته.

١. شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ٢٠ / ٢٧٤ / ١٦٩.

أُسس النّجاح

إنّ نجاح الإنسان في الحياة عموماً يقوم على ثلاثة أُسس رئيسة:

١ ـ الأساس الأوّل: الوعي والمعرفة .

٢ ـ الأساس الثاني: الوسائل والأدوات .

٣ ـ الأساس الثالث: السعي والعمل .

وبانعدام أيّ أساس من هذه الأُسس الثلاثة يتعذّر النّجاح .

فإذا لم يستطع الشباب أن يُشَخِّصوا أحسن طُرق الحياة، أو لم يمتلكوا الوسائل والأدوات اللازمة، أو لم يسعوا بجدٍّ واجتهاد، لا شكّ أنّهم لا يكونون موفّقين. وعلى هذا فمن أهمّ الضرورات العقليّة يتعيّن على الشباب المسارعة وهم في مطالع الحياة أن يعرفوا أحسن الطرق، وأن يهيّئوا لأنفسهم الإمكانات

والأدوات اللازمة لطيّ الطريق، وأن يصمّموا على السعي والحركة.

معرفة أحسن طُرُق الحياة

إنّ أوّل خطوة للتوصّل إلى سرّ النّجاح، هي معرفة أحسن طرق الحياة، وما لم يعرف الشباب ذلك لا يستطيعون أن يحظوا بالوسائل والإمكانات اللازمة التي تساعدهم على طيّ الطريق فيها، وستكون كلّ المساعي من أجل ذلك غير مثمرة؛ بل وربّما تكون مبعدة لهم عن الهدف.

إنّ المسألة الأساس لمعرفة أحسن طرق الحياة هي كيفية تحصيل المعرفة. فإنّ الشباب الذين هم في مطالع طرق التحدّي كيف يمكن لهم اكتشاف أحسنها؟! وإذا ما اكتشفوها فمن أين يحصلون على الإمكانات والوسائل اللازمة؟

هل يستطيع الشباب بوحدهم أن يقوموا بهذه المسؤولية الخطيرة؟ أم أنّهم بحاجة إلى مساعدة الآخرين ومشورتهم؟ وإذا ما كانت المساعدة والمشورة ضروريّة فمع من تكون المشورة؟ ومن يقدّم لهم الحلول؟

الحقيقة: إنّه غير الله الخالق المنّان لا يستطيع أحد أن يهدي الإنسان إلى أحسن الطرق وأجملها، الشابّ نفسه لا يستطيع أن

يكتشف أحسن الطرق، ولا يستطيع حتّى مع الإفادة من الآراء والأفكار المتنوّعة أن يفيد تماماً من مساعدة الآخرين فكريّاً.

إذن، إنّ خالقه فقط هو الذي يستطيع أن يعينه على حلّ لغز الحياة، والله الرحمان كان قدْ حلّ هذا اللغز في القرآن الكريم، وكشف عن سرّ نجاح الإنسان فيها.

سرّ النّجاح من وجهة نظر القرآن الكريم

قلنا: إنّ النّجاح في الحياة يقوم على ثلاثة أُسس مهمّة هي: الوعي، والوسائل، والسعي؛ والشابّ الذي يستطيع جمع هذه الأُسس الثلاثة يكون ذا حظوة في الحياة وموفّقاً.

أمّا تحصيل الوعي والمعرفة اللازمة لانتخاب أحسن معيشة، وتهيئة الوسائل والأدوات اللازمة للشابّ في مقتبل العمر وفي بداية المسيرة، فهو أمر ليس بالهيّن. وهنالك نكتة مهمّة جدّاً نلفت نظر الشباب الأعزّاء إليها، وهي أنّ الله تعالى ضَمِنَ النّجاح الكامل للإنسان في الحياة بشرطين اثنين، وفي حالة القيام بهما وعَد بإراءة أقوم سُبل الحياة وأدقّ الطرق وأوضحها؛ إذ ليس يعطيه الإمكانات والوسائل اللازمة فحسب، بل يأخذ بيديه للوصول إلى الهدف والغاية.

ولقد جاء في القرآن الكريم : ﴿وَٱلَّذِينَ جَـٰهَدُواْ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾[1].

السعي، أوّل شروط النّجاح

إنّ أوّل شرط لكشف سرّ النّجاح الذي يعتمده القرآن الكريم هو بذل الجهد، وهذا الشرط له جذور في كلمة «جاهدوا» التي هي من مصدر «الجهاد» بمعنى بذل الوسع التام[2]. فالمجاهد هو الذي يبذل تمام وسعه للوصول إلى الهدف. ومن هنا قيل لمن يحارب العدوّ: «المجاهد»؛ لأنّه يبذل كلّ جهده من أجل تحقيق النّجاح والانتصار على الخصوم.

وتوصية القرآن الكريم للبشر جميعاً ـ ولاسيّما للشابّ المسلم ـ هي أن يفهموا أنّ سرّ النّجاح هو بذل كلّ السعي وقصارى الجهد، وأنّ الموفّقية في الحياة من دون سعي وجدّ غير ممكنةٍ أبداً : ﴿وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَـٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ﴾.[3]

وفي نظر نبيِّ الإسلام ﷺ أنّ الناس المجدّين والساعين في الحياة هم أُولئك الذين يقفون وراء باب بيتٍ ويلحّون في الطَّرق،

---

١. العنكبوت: ٦٩.

٢. انظر: المصباح المنير: ١١٢.

٣. النجم: ٣٩.

فسيفتح لهم الباب إن عاجلاً أم آجلاً، وبالنتيجة يدخلون البيت.

«مَنْ يُدْمِنُ قَرْعَ الباب يَلج».[١]

وقال الإمام عليّ عليه السلام: «من استدام قَرْعَ الباب وَلَجَّ، ولَجَ».[٢]

وعنه عليه السلام: «من طلب شيئاً ناله أو بعضه».[٣]

وعنه عليه السلام: «مَنْ بذلَ جهد طاقته، بلغ كنه إرادته».[٤]

وعنه عليه السلام: «قُرِنَ الاجتهاد بالوجدان».[٥]

وعنه عليه السلام: «مَن أعمل اجتهاده بلغ مراده».[٦]

وعنه عليه السلام: «ما أدرك المجدَ من فاته الجدّ».[٧]

وعنه عليه السلام: «أُطلب، تجد».[٨]

وعنه عليه السلام: «قد سعد مَنْ جدّ».[٩]

---

١. كنز الفوائد: ١ / ١٣٩.

٢. غرر الحكم: ح ٩١٦٠.

٣. غرر الحكم: ح ٨٤٩٠.

٤. غرر الحكم: ح ٨٧٨٥.

٥. غرر الحكم: ح ٦٧١٥.

٦. غرر الحكم: ح ٨٠٥٨.

٧. غرر الحكم: ح ٩٥٣٠.

٨. غرر الحكم: ح ٢٢٥٨.

٩. غرر الحكم: ح ٦٦٢٩.

قصّة ذات عظة بالغة

التقيت في العام الماضي[1] بالأُستاذ العلّامة المرحوم محمّد تقي الجعفريّ، وكان ذلك اللقاء بهذا العالم الربّاني في مكتبته الشخصيّة، وكان قد علّق على صدر أحد رفوفها لوحة كُتب عليها بيت من الشعر الفارسي ذو حكمة ودلالة بالغة على أهمّية العمل والسعي في تحقيق النّجاح، وكان قد خُطّ بخطّ جميل منمّق، ما مضمونه بالعربية:

«ما دمت تستطيع العمل، فاعملْ؛ فإذا فاتتك الفرصة، ستندم».

ومن خلال استعراض خواطره الجميلة والتربويّة في حياته الملأى بالأعمال العلميّة الجليلة المرتبطة بحكمة هذا البيت، أنقل نصّ ما قاله ـ للأمانة والدقّة الكاملة ـ من بعض كتاباته حول أُستاذه. قال ما ترجمته:

«كان أُستاذي الورع، المرحوم الشيخ مرتضى الطالقاني، من العلماء الكُمّل الذين تحرّروا من العلائق الماديّة. وكان حكيماً عارفاً، ومن أساتذة الحوزة العلميّة في النجف الأشرف.

---

١. أي: سنة ١٤١٨هـ. ق.

وقد وفّقني الله تعالى للتلمذة على يديه وحضور دروسه وإفاضاته لمدّة سنةٍ ونصف. وقبل يومين من رحيله إلى العالم الأبديّ كنتُ قد ذهبتُ كالعادة لمجلس الدرس، وسلّمتُ عليه وجلستُ، وما إنْ لبثتُ حتّى ابتدرني بالسؤال: لماذا جئتَ؟ قلتُ: جئتُ للحضور في مجلس الدرس، فقال الشيخ: قمْ وانصرفْ لقد تعطّل الدرسُ. ولمّا كان ذلك اللقاءُ ليومين بقيا من حلول شهر محرّم الحرام، وكانت العادة أن تعطّل دروس الحوزة العلميّة في النجف الأشرف لمدّة أُسبوعين من بدايته تكريماً لذكرى سيّد الشهداء الإمام الحسين عليه السلام، وتخيّلت أنّ الشيخ قد توهّم حلول المحرّم فعطّل الدرس، فقلتُ له: يا شيخنا، بقي يومان لشهر محرّم الحرام، وأنّ الدروس في الحوزة ما تزال مستمرّة. فقال الشيخ: أقول لك: إنّ الدرس قد تعطّل؛ لأنّي مسافر: «ذهبت دابّة الطالقاني ولم يبقَ إلّا قتبُها، والرّوح ذهبت ولم يبقَ إلّا الجسم». قال هذا وأردف قوله: «لا إله إلّا الله» وعيونه تسيل بالدموع على خدّيه، وعندها أدركت أنّ إخباره بهذا السفر هو السفر الأبديّ، ولم يكن يبدو عليه أيّ اختلال في المزاج أو في الحديث أو الحركات أو النظرات. فعند ذاك اغتنمت الفرصة، وطلبت منه أن ينصحني حتّى أذهب، فقال:

هل فهمت؟ اذن إسمع:

«تا رسد دستت به خـود شـو كـارگر

چون فتى از كار خواهى زد به سـر»[1]

وكرَّر كلمة «لا إله إلّا الله»، وسالتْ دموع عينيه على خـدّيه ولحيته.

وبعد يومين من هذا اللقاء ـ يعني فـي أوّل مـحرّم الحـرام ـ وكنت في مدرسة المرحوم الصدر الأصفهاني، وكُنّا قـد عـقدنا مجلساً للتعزية لسيّد الشهداء، الإمام الحسين عليه السلام، وجاء الخطيب المعروف «الشيخ محمّد علي الخراساني» الذي كان من الوعّاظ الأتقياء في النجف الأشرف واستقرّ على المنبر، وبـعد الحـمد والثناء على الله تعالى وذكر الصلاة على النبيّ وآله صلى الله عليه وآله قال: إنّا لله وإنّا إليه راجعون. رحل الشيخ مرتضى الطالقاني عن الدنيا».[2]

فإنّ دور السعي والاجتهاد في إحراز التوفيق [مهمّ] إلى حدٍّ يجعل الدعاء والطلب من الله تعالى غير مـثمر إذا لم يكـن دون سعي واجتهاد. بل إنّه عـلى مـضمون قـول الإمـام الرضـا عليه السلام،

١. مضمونه بالعربية: ما دمت تستطيع العمل فاعمل فاذا فاتتك الفرصة ستندم.

٢. تلخيص من ترجمة وتفسير نهج البلاغة: ١٣ / ٢٤٧ / ٢٤٩.

استهزاء بالنفس.

«من سأل الله التوفيق ولم يجتهد، فقد استهزأ بنفسه».[1]

لأنّ مثله كمثل من يتوقّع ثمراً جيّداً من دون زرع، والدعاء في هذه الموارد ليس أنّه لا يستجاب فحسب، بل إنّه في الواقع استهزاء.

الكسل آفة التوفيق

إنّ الكسل والتواكل هما آفتا التوفيق والنّجاح، وهما من أسباب الفشل والحرمان، وهذه حكمة قيّمة بيّنها لنا أئمّة الإسلام، حيث قال الإمام عليّ عليه السلام: «آفة النجح الكسل».[2]

وقال عليه السلام: «من دام كسله، خاب أمله».[3]

وقال عليه السلام: «هيهات مِنْ نَيْل السعادة، السكونُ إلى الهوينا والبطالة».[4]

وقال الإمام الباقر عليه السلام:

«إيّاك والكسل والضجر، فإنّهما مفتاح كلّ شرّ».[5]

---

١. بحار الأنوار: ٧٨ / ٣٥٦ / ١١.

٢. غرر الحكم: ح ٣٩٦٨.

٣. غرر الحكم: ح ٧٩٠٧.

٤. غرر الحكم: ح ١٠٠٢٨.

٥. تحف العقول: ٢٩٥.

إنّ قادة الإسلام يرون التواكل آفة خطرة تضرّ بالدنيا والآخرة، وأكّدوا على أنّ الكسل والتواكل مذموم حتّى في الأُمور الماديّة والدنيويّة، وأنّ أُولئك الذين يكسلون في الحياة غير قادرين على تأمين معيشتهم فضلاً عن تأمين معادهم وحياتهم المعنوية.

وقال الإمام الباقر عليه السلام أيضاً:

«الكسل يضرّ بالدين والدّنيا».[1]

وقال الإمام الكاظم عليه السلام لبعض ولده: «قال أبي عليه السلام لبعض ولده: إيّاك والكسل والضجر، فإنّهما يمنعانك من حظّك من الدنيا والآخرة».[2]

ويؤكّد الإمام الباقر عليه السلام بقوله: «إنّي لأبغض الرجل ـ أو أبغض للرجل ـ أن يكون كسلانَ عن أمر دنياه، ومن كسل عن أمر دنياه فهو عن أمر آخرته أكسل».[3]

ويرى الإمام عليّ عليه السلام أنّ عِلّة الفقْر وعدم التمتّع المادي في الحياة اجتماع التواكل والضعف معاً؛ يقول عليه السلام: «إنّ الأشياء لمّا

١. تحف العقول: ٣٠٠، بحار الأنوار: ٧٨ / ١٨٠ / ٦٤.

٢. الكافي: ٥ / ٨٥ / ٢.

٣. المصدر نفسه: ٥ / ٨٥ / ٤.

ازدوجَتْ ازدوج الكسل والعجز، فنتج بينهما الفقر».[1]

إنّ خطر آفة التواكل في الحياة الماديّة والمعنويّة على الإنسان بلغ إلى درجة دعا نبيّ الإسلام لأنْ يستعيذ منها كلّ يوم بعد صلاة الصبح فيقول:

«اللّهمّ إنّي أعوذ بكَ من الهمّ والحزن والعجز والكسل».[2]

علامة التواكل

نستخلص ممّا تقدّم من التوضيحات، أنّ كلّ من يطلب النّجاح في الحياة، لابُدّ له أنْ يتعرّف على أُولى علائم التكاسل في حياته، وقبل أنْ تستفحل هذه الآفة وتكون سبباً لفشله وعدم توفيقه، يجب عليه معالجتها والخلاص منها.

وهنا يتوجّب السؤال الآتي: ماهي علامة التواكل؟ وكيف يمكن تشخيص الإنسان الفاشل والمتواكل؟

الإمام علي عليه السلام يُجيب عن هذا السؤال بقوله: «تأخير العمل، عنوان الكسل».[3]

---

١. المصدر نفسه: ٥ / ٨٦ / ٨.

٢. من لا يحضره الفقيه: ١ / ٣٣٥ / ٩٨١.

٣. غرر الحكم: ح ٤٤٧١.

وبعبارة أُخرى: إنّ عدم الانتظام في العمل يكون من علائم التواكل، وإنّ الشخص الذي لا يقوم بواجبه المقرَّر له في وقته المحدّد ويؤخّر وظائفه، قد ابتلي بمرض التكاسل. ويجب عليه قبل أن يستفحل هذا المرض فيه أن يعالجه بأسرع وقت، وأن يتّقي أسباب عدم النّجاح في الحياة.

علاج الكسل والتواكل

إنّ الدواء الناجع الذي يأتي على التواكل والتكاسل هو العزم والإرادة، وبهذا العلاج والدواء يستطيع الإنسان أن يقضي على آفة الاجتهاد والسعي؛ وبهذا أيضاً يستطيع أن يُحكم أوّل ركن من أركان النّجاح في الحياة.

يقول الإمام علي عليه السلام في صدد الصراع ضد الكسل واستخدام دواء العزيمة:

«ضادّوا التواني بالعزم».[١]

وكلّما زاد الإنسان في عزمه وإرادته في طريق الوصول إلى المطلوب، ازدادت قوتّه وسعيه، حتّى تجبر قوّة العزم والإرادة ضعفه الجسماني.

---

١. المصدر نفسه: ح ٥٩٢٧.

«ما ضعف بدن عمّا قويت عليه النيّة».[1]

ويؤكّد على هذا المعنى الإمام عليّ عليه السلام ويشير إلى أن رزق الإنسان بمقدار نيّته وإرادته:

«رزق المرء على قدر نيّته».[2]

فكلّما زاد عزم الإنسان قوّةً، زاد سعيه واجتهاده وعمله، وبالمقدار نفسه يزداد رزقه وتوفيقه في الحياة الماديّة والمعنويّة.[3]

ويمكن أن يُتساءل: كيف يقوّي الإنسان إرادته ودوافعه على اتّخاذ القرار؟

والجواب المفصّل عن هذا التساؤل، يحتاج مجالاً أوسع من هذا الكتيّب، لكنّ الجواب المختصر المفيد هو كما يأتي:

إنّ التأمّل في أضرار ضعف الإرادة والتطلّع إلى بركات السعي والعمل البنّاء، وترك معاشرة المتواكلين، والإلتزام بمصاحبة ذوي الإرادة والسعي، وأهمّ من كلّ ذلك، التمرّن على تقوية

---

١. من لا يحضره الفقيه: ٤ / ٤٠٠ / ٥٨٥٩.

٢. غرر الحكم: ح ٥٤٢٧.

٣. من الأبيات الحكمية في هذا الباب:

الجَدّ في الجِدّ والحرمان في الكسلِ ... فانصبْ تُصِبْ عن قريبٍ غاية الأملِ

الإرادة، والتمسّك بالدعاء. كلّ ذلك يستطيع تقوية دوافع السعي والاجتهاد في الإنسان.

وأُولى تلكم الخطوات: نوصي الشباب الأعزاء بالنظم، وتطبيق البرامج بدقّة، فإذا ما نظّم الشباب أوقاتهم لليّل والنهار ـ كما أوصى الإمام عليّ عليه السلام: «وامضِ لكلّ يوم عمله، فإنّ لكلّ يوم ما فيه»[1] ـ، فقد تحقّق أوّل ركن من أركان النّجاح في حياته بعد تنظيمه الدقيق لأوقاته.

الدوافع الحسنة، ثاني شروط النّجاح

إنّ السعي والعمل يثمران النّجاح في الحياة شريطة أن تكون الدوافع حسنة والنوايا جميلة.

فالذي لايملك حُسن النيّة والدوافع الجميلة في اجتهاده، لا يكون محروماً في الحياة حسب، بل كلّما ازداد السعي والعمل بالدوافع السيّئة يزداد قرباً من الهاوية والسقوط الدائم. ولهذا جاءت الروايات الإسلاميّة مؤكّدة على حسن النيّة وأثرها الأساس في النّجاح، وبهذا الصدد يقول الإمام عليّ عليه السلام:

---

١. نهج البلاغة: الكتاب ٥٣.

«مَن حسنت نيّته أمَدَّه التوفيق».[1]

ويقول عليه السلام: «بحسن النيّات تنجح المطالب».[2]

ويقول عليه السلام: «جميل النيّة سبب لبلوغ الأُمنية».[3]

ويقول عليه السلام: «أقربُ النيّات بالنّجاح، أعودُها بالصلاح».[4]

وإنّ النكتة التي تجلب النظر هي أنّ نظر أئمّة الإسلام العظماء أنّه كلّما حَسّن الإنسان دوافعه وزادها جمالاً، زاد توفيقه وأعانه الله تعالى على بلوغه الأهداف والمقاصد المطلوبة.

وفيما يلي نصّ بيان الإمام الصادق عليه السلام:

«إنّما قَدَّرَ الله عون العباد على قَدْر نيّاتهم، فَمَنْ صحَّت نيّته، تمَّ عون الله له، ومَنْ قصرت نيّته، قصر عنه العون بقدر الذي قصَّر».[5]

اذن: إنّ أجمل الدوافع وأحسنها يكون سبباً للوصول إلى

---

١. غرر الحكم: ح ٩١٨٦.

٢. غرر الحكم: ح ٤٣٤٩.

٣. غرر الحكم: ح ٤٧٦٦.

٤. غرر الحكم: ح ٣٢٨٩.

٥. بحار الأنوار: ٧٠ / ٢١١ / ٣٤.

أرقى النّجاحات والتوفيقات. وهنا يجب أن نعرف أيَّ الدّوافع هي أحسن وأيَّها أجمل؟

أجمل الدوافع

إنّ أدنى تأمُّل، يقودنا إلى أنّ معيار جمال الدوافع من وجهة نظر العقل هو منفعة الإنسان والمجتمع الإنساني، وكلّما كانت الدوافع أكثر نفعاً، كانت أكثر جمالاً. إذاً إنَّ أجملها يكون أنفعها.

ومن وجهة نظر الإسلام أنّ ملاك جمال الدوافع هو الصبغة الإلهيّة لها، وكلّما كانت الدوافع أشدّ ارتباطاً بالخالق وأقرب إليه، وكانت الصبّغة الإلٰهيّة فيها أشدّ، كانت أجمل. وعلى هذا الأساس، إنّ أجمل الدوافع، أقربها إلى الله سبحانه، وأحسن النيّات هي أخلصها.

وهنا يفرض السؤال الآتي نفسه: ما هي الدوافع الإلهية؟ وما هو معنى أن يكون العمل خالصاً لله تعالى؟ فهل أنّ الله تعالى بحاجةٍ إلى مساعينا وأعمالنا حتّى تكون بالضرورة خالصة لله؟

الجواب يكون كالآتي: إنّ الله تعالى غنيّ مطلق، وليس بحاجة إلى أحد أو عمله[1]، وإذا ما قال للإنسان: إنّ سعيك يجب أن يكون لي، لا يكون من باب احتياجه، بل بدليل احتياج

---

١. ﴿إِن تَكْفُرُوٓاْ أَنتُمْ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا فَإِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِىٌّ حَمِيدٌ﴾: إبراهيم: ٨.

الإنسان إليه وبدليل محبّة الله تعالى ولطفه وعنايته بالإنسان، فالله ليس بحاجة إلى عمل الإنسان، لكنّ نجاح الانسان في الحياة وسعيه يحتاج إلى دوافع إلهية ويتوقّف عليها.

ومن هنا يتّضح أن معايير جمال الدوافع من وجهة نظر العقل والإسلام في الحقيقة واحدة؛ لأنّ دوافع الإنسان في مساعيه ما لم تكن إلهيّة، لا تكون مساعيه باتّجاه المنافع الواقعيّة، والنّجاح الكامل والدّائم له وللمجتمع البشريّ.

ومن هنا يرى القُرآن الكريم أنّ نسيان ذكر الله تعالى هو نسيان الإنسان لنفسه.[1]

والذي لم يرتبط بالله تعالى ولم تكن في أعماله دوافع إلهيّة سيكون مُبتلى بعبادة نفسه إلى حدٍّ لا يرى إلّا منافعه الدنيويّة العابرة. وعندها ينسى منافع الآخرين ونجاحه الأبدي، وسيدور حول أطماعه وتلتفّ عليه خيوطها كدودة القزّ حتّى تخنقه وتميته. وإذا ما ادّعى خدمة الناس، فلا يكون ذلك إلّا خداعاً ومن أجل تحقيق مطامعه الشخصيّة.

النّجاح الكامل

لقد طرح القرآن الكريم نوعين من النّجاح؛ الأوّل: هو النّجاح

---

١. ﴿نَسُوا اللَّهَ فَأَنسَاهُمْ أَنفُسَهُمْ﴾ الحشر: ١٩.

العابر والناقص، والثّاني: هو النّجاح الدائم والكامل، فالأوّل، عُبّر عنه بالعاجلة[1]، أي بالحياة العابرة والمتاع القليل[2]، أي النّجاح الناقص، والثاني، عُبّر عنه بالفوز العظيم[3] وبالفوز الكبير[4]، أي: النّجاح الكبير.

وإنّ الله الرحمان هيّأ أرضيّة النوعين للإنسان في نظام الوجود؛ وجعله حُرّاً في اختيار النّجاح القليل والعابر، أو النّجاح الكبير والخالد، حيث يقول ﷻ:

﴿مَّن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُۥ فِيهَا مَا نَشَآءُ لِمَن نُّرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُۥ جَهَنَّمَ يَصْلَىٰهَا مَذْمُومًا مَّدْحُورًا﴾.[5]

وبعبارة أُخرى: كلّ من يسعى لتحصيل التوفيق الدنيوي العابر سيحصد ثمار أتعابه على أساس التقدير والتدبير الإلهيّ الحكيم، لكنّما يكون خالي الوفاض بالنسبة للحياة الأبديّة والنّجاح الخالد، بل وسيطعم الثمار المُرَّة لأعماله الشائبة التي قام بها من أجل توفيقاته الدنيويّة العابرة.

---

١. الإسراء: ١٨.

٢. آل عمران: ١٩٧.

٣. النساء: ١٣، المائدة: ١١٩، التوبة: ٧٢ وأمثالها.

٤. البروج: ١١.

٥. الإسراء: ١٨.

﴿وَمَنْ أَرَادَ ٱلْأَخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُوْلَٰٓئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا﴾.[1] ﴿كُلًّا نُّمِدُّ هَٰٓؤُلَآءِ وَهَٰٓؤُلَآءِ مِنْ عَطَآءِ رَبِّكَ وَمَا كَانَ عَطَآءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا﴾.[2]

إنّ النكتة الدقيقة والمهمّة التي يُؤكّد عليها القرآن الكريم مراراً هي عدم المنافاة بين اختيار النّجاح الكبير ويريد به (الآخرة) واختيار النّجاح القليل ويريد به (الدنيا) وذلك مشروط بانتخابه النّجاح الكبير، ومن اختار النّجاح الكبير والكامل، ففي الحقيقة أنّه يحظى بالنّجاح القليل أيضاً. وبهذا يصرّح القرآن الكريم، فيقول: ﴿مَّن كَانَ يُرِيدُ ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا فَعِندَ ٱللَّهِ ثَوَابُ ٱلدُّنْيَا وَٱلْأَخِرَةِ﴾.[3]

أيّها الشابّ العزيز، كلّ شيء يكون خزائنه عند الله سواء منها الأُمور الماديّة والمعنوية، والدنيوية والأُخروية، فإذا ما أردت الله وصرفت مجهودك كلّه لله، فسيكون عندك كلّ شيء. كُنْ يقظاً كما قال الشاعر العارف بالفارسيّة ـ ما مضمونه ـ:

«كن يقظاً، فالوجود كلّه من أجلك، وكلّ ما تطلب سوى الله،

---

١. الإسراء: ١٩.

٢. الإسراء: ٢٠.

٣. النساء: ١٣٤.

فيه خسرانك».[1]

نعم، ألم يقل الله الرحمان: ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾[2]؟!

إنّ الطُرق التي تتفتّح للإنسان بالتوفيق الإلهي نتيجة للسعي في سبيل الله، هي نفسها الطرق التي تحقّق النّجاح الكامل في الحياة، وبالنتيجة تقوده إلى الكمال المطلق.

﴿وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلْمُنتَهَىٰ﴾.[3]

والهداية في تلك الطرق هداية خاصّة، فالهادي هنا لا يدلّ على الطريق فحسب، بل يأخذ بيد السالك ليوصله إلى الهدف. وهذه هي الهداية التي يؤكّد عليها الله تعالى بتأكيدين[4] في الآية المتقدّمة، ويُعدّها للساعين المخلصين من عباده؛ لأنّ الهداية الإلهيّة العامّة تشمل جميع البشر، وليس بحاجة للسعي والإخلاص الذي أُشير إليه في عبارة ﴿جَٰهَدُواْ فِينَا﴾.

---

١. هذه هي ترجمة البيت الفارسي الآتي:

هوشيار باش! خلقت عالم زبهر توست

غير از خدا هر آنچه خواهي، شكست توست

٢. العنكبوت: ٦٩.

٣. النجم: ٤٢.

٤. لام التوكيد ونون التوكيد الثقيلة في «لنهدينهم».

وبعبارة أُخرى: إنّ معرفة طرق النّجاح في الحياة ـ التي أشرنا إليها في هذا الكتيِّب تحت عنوان أوّل أساس من أُسس النّجاح الثلاثة ـ، تكون مضمونة في نظام الوجود للذين يكون الله تعالىٰ هدفهم في الحياة، ويبذلون كل مساعيهم من أجل الوصول إلىٰ هذا الهدف.

وعلى حدّ تعبير بعض كبار أهل المعرفة: «إذا قام الإنسان لله، تصطفّ عوالم الوجود أمامه لتقدّم له كلّ ما لديها وتكون هادية له».[1]

إنّ هذه المعرفة، إضافة إلى أنّها ليست قابلة للخطأ، متضمنة للإمكانات والوسائل اللازمة للتوفيق. وكلّ من يصل إليها، فهو ـ بلا شكّ ـ سيصل إلى النّجاح المطلق.

اذن: إنَّ حقيقة الإخلاص المبيِّنة لأجمل الدوافع والتي تُشكّل الركن الثاني للنجاح في الحياة من وجهة نظر القرآن الكريم، هي بانضمامها إلى الركن الأوّل ـ يعني السعي والعمل ـ ستجرّ وراءها التوفيق الكامل.

فالإمام عليّ عليه السلام يُبيِّن دور الإخلاص للنجاح في الحياة بالشكل الآتي:

---

١. انظر: «تنديس اخلاص» بالفارسية، الطبعة الثانية.

«أخلِصْ، تَنَلْ».[1]

ويقول عليه السلام: «إنْ تُخلِص، تَفُزْ».[2]

ويقول عليه السلام: «في إخلاص النيّات نجاح الأُمور».[3]

ويقول عليه السلام: «مَن أخلص، بَلَغ الآمال».[4]

ويقول عليه السلام: «مَن أخلص لله، استظهر لمعاشه ومعاده».[5]

وخلاصة القول في بيان سرّ النّجاح الكامل في الحياة. هي أنّ العمل لله، سرّ التوفيق فيها، والعمل لله، إكسير السعادة في الدنيا والآخرة.

وإنّ العناصر الأساس للوصول إلى إكسير السعادة هي كالآتي:

ـ تطهير الدّوافع.

ـ العزم والإرادة القوية.

ـ البرمجة الصحيحة للأعمال والأوقات.

---

١. غرر الحكم: ح ٢٢٤٨.

٢. غرر الحكم: ح ٣٧٥٧.

٣. غرر الحكم: ح ٦٥١٠.

٤. غرر الحكم: ح ٧٦٧٥.

٥. غرر الحكم: ح ٨٢٥٥.

ـ تحكيم النظم الدقيق في تطبيق البرامج.

ـ استثمار كلّ القوىٰ حتّى الوصول إلى الهدف.

وإنّ المجتمع الذي يتحرّك وفق هذه الأُسس ويستند إليها ثقافيّاً وسياسيّاً واجتماعيّاً واقتصاديّاً وعسكريّاً، لا يُقهر أبداً.

﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُواْ وَٱتَّقَوْاْ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ﴾.[1]

إنّ الشخص الّذي يستخدم كلّ قواه في البرمجة الدقيقة وفي سبيل الله لا يُقهر في الحياة أبداً، وإنَّ إكسير العمل لله تعالى يحوّل ـ في الواقع ـ الأُمور التي قد تبدو في الظاهر خاسرة وغير موفّقة إلى النصر والتوفيقات الّتي تكون أشدَّ وأكثر فرحاً ولذّة لصاحبها وأرقى وأعلى مِن تلك التوفيقات الظاهرة.[2]

﴿فَإِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ﴾.[3]

﴿وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ﴾.[4]

---

١. الأعراف: ٩٦.

٢. هناك عبارة عرفانية جميلة تقول: إنّ هكذا عذاب عذاب مستعذب.

٣. المائدة: ٥٦.

٤. الصافّات: ١٧٣.

وعلى هذا الأساس، إنّ حزب الله وجنده هم الّذين يضعون العمل لله في رأس قائمة أعمالهم، وإنّ حزب الله هم الّذين ـ في ضوء عشق الله ـ يعشقون مخلوقاته، ويرون أنّ الخدمة لخلق الله هي أحسن الأعمال التي تكون لله تعالى، وهم الّذين يبذلون قُصارى جهودهم في خدمة خلق الله وقربة إلى الله تعالى، وإنّ حزب الله هم الّذين يبرمجون لكلّ حياتهم، وإنّ حزب الله هم الّذين يكون الوعي والنظام والقانون مهيمناً على جميع حركاتهم وسكناتهم.

وآخر كلمة في المقام: إنّ مجتمعاً يستطيع أن يفتخر باسم جند الله المقدّس المضيء وحزب الله القرآني؛ ذلك الذي يسعى أفراده دائماً من أجل ازدهار كلّ القيم الإنسانية في العالم، ولم يتوقّفوا لحظةً واحدةً عن الحركة والسعي.

اللّهُمَّ اجعلنا من جُندك فإنّ جندكَ هم الغالبون، واجعلنا مِنْ حِزبكَ فإنَّ حزبكَ هم المفلحون، واجعلنا من أوليائك فإنّ أولياءك لا خوفٌ عليهم ولا هم يحزنون.

محمّد المحمّدي الري شهري

٢٦ / ٩ / ١٩٩٩ م

شعبان المُعظّم ١٤١٩ هـ. ق

سازمان چاپ و نشر